

رؤية "جولن" للإصلاح في التربية والسياسة... عرض لمجموعة من الكتب

شيماء بهاء

لما كان الحديث عن الإصلاح لا ينتهي والرؤى بشأنه عديدة، كان حرياً اختيار الأفكار الأجدد بالدراسة، وفي مقدمة هذه الأفكار هي "تلك التي وجدت طريقها إلى أرض الواقع ومن هنا كانت أهمية دراسة رؤى الشيخ "محمد فتح الله جولن" المفكر التركي الذي عمل بمجال الخدمة المدنية، حيث سيتم تناول رؤيته للإصلاح التربوي وارتباطه بالإصلاح السياسي، خاصة وأنه يرى أن إصلاح الأمة يأتي عبر تربية أجيالها وتنقيفها ورفعها إلى مستوى الإنسانية.

وكان، ذلك من خلال استخلاص أهم رؤاه في هذا الإطار في ضوء قراءة مجموعة من كتاباته وتقديم عرض موجز لها، وهي: الموازين أو أضواء على الطريق، روح الجهاد وحقيقته في الإسلام، القدر في ضوء الكتاب والسنة، ترانيم روح وأشجان قلب.

هذا إلى جانب كتابين آخرين تناولوا تجربة حركة "فتح الله جولن"، وهما:

- **A civilian Response to Ethno-Religious conflict: the Gülen Movement in southeast Turkey.**
- **Muslim citizens on the Globalized world: Contributions of The Gülen Movement.**

وبداية، كيف يرى "جولن" واقع الأمة اليوم؟ وكيف يرى الحاجة إلى التجديد؟

يُدرِك "جولن" حقيقة ما تعانيه مجتمعات أمتنا وبينها المجتمع التركي من هزات اجتماعية داخلية عامة إضافة إلى التحديات الخارجية.

وبالتالي، فهو لا يغفل الحاجة إلى التجديد، ولكنه يُطالب بالتجديد القائم على الأسس السليمة والعلمية وليس مجرد التغيير. وهنا، كان من المهم استعراض مفهومات "جولن" الأساسية، فكيف يرى الإنسانية والإنسان؟ وما تصوره للأمة؟ وكذلك دور الدين؟

فإنسانية بالنسبة له، هي أن يحب الإنسان للآخرين ما يحبه لنفسه، إلى جانب القرب من الأصدقاء والأحباء. أما الإنسان، فهو كائن مجهز بأحاسيس علوية واستعداد للفضيلة، وظيفته اكتشاف ذاته والتوجه إلى ربه.

والإنسان الحقيقي، هو من يعرف النقاط المشتركة بينه وبين الكائنات الحية الأخرى، ويقدر تفاعله تظهر الحكمة في قلبه. أما أسعد الناس فهو المتعلق بقلبه بما وراء هذا العالم.

والأمة، هي تلك الجماعة التي تسير أمورها في ظل الوحدة والتآلف، فالعلاقة بين أفرادها كالأسرة، كما أن من أهم سماتها أنها تعطي أهمية لرأي الشعب... وهذا كله إنما يرتبط بتلقي التربية نفسها في الدين واللغة والتاريخ.

الدين هو محل لكل من الفضيلة والمدنية وهو مرادف للسعادة، حيث يُعد بمثابة مدرسة مباركة للطبائع الجميلة.

وفيما يتعلق برؤى "جولن" بشأن الإصلاح في كل من التربية والسياسة على وجه الخصوص، وهما مرتبطان كما أشير فإذا ما بدأنا بالشق المتعلق بالتربية فسيتم أولاً التطرق إلى الأمر المتصل بمضمون هذه التربية وعناصرها المتعددة، لاسيما وأن أهم ما يدعو إليه "جولن" هو الانتقال من التركيز على التربية البدنية إلى الاهتمام أيضاً بالتربية الروحية والعاطفية لتنشئة الروح والمعنى. وبناءً على ذلك، كان تأكيد على الدين بالمعنى المشار إليه سلفاً، كما أوضح أن الأخلاق إنما هي دساتير عالمية لسمو الروح، حيث تعني الاستقامة وعدم الخداع والتضحية بالمصالح الشخصية لأجل مصالح الآخرين. وهو يرى الفضيلة كمناصب روحية وكشعور سامي تجاه الدين والوطن والأمة، وهذا وصولاً إلى رقي الأمة الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمدى تربية أبنائها.

كذلك اهتم "جولن" بتحديد القائمين على العملية التربوية وعلى رأسهم الأسرة والمؤسسة التعليمية. فالأسرة بالنسبة له هي أساس بقاء الأمة، بل هي أمة صغيرة، ولذا يجب أن يكون من أهم سماتها النظام والاحترام المتبادل، خاصة احترام الأبناء للوالدين. وقد خص المرأة بشيء من التفصيل معتبراً إياها المعلمة الأولى لمدرسة الإنسانية لما تتميز به من عمق داخلي، إلا أنه على جانب آخر قد رفض الصورة الراهنة لحرية المرأة.

وفيما يخص المؤسسة التعليمية، فإن "جولن" يعتبر التعليم هدفاً أساسياً بالنسبة له، وهو يتعامل معه من منظور علمي، إذ يُحدد غايته في الاستجابة للاحتياجات الإنسانية والمشكلات العالمية التي تتمثل بشكل رئيس في: الفقر، الجهل، التقسيم.

وكان من أهم الأسس التي بُنيت عليها مؤسساته التعليمية: - الاتساق مع الرؤية العامة للدولة حيث استطاع التكيف مع علمانية الدولة التركية حتى أن مدارسه لا توصف بالإسلامية - الاهتمام بجميع العلوم وكذلك بالشق الأخلاقي لدى كل من المعلم والطالب مع الجمع بين الجانبين وهذا اتساقاً مع رؤيته للثقافة كطراز وسمه الحياة المعاشة والناجحة عن لغة ومشاعر المجتمع والتمازج بين الدين والفضيلة في بوتقة العلوم.

وقد حققت هذه الرؤية نجاحاً ملحوظاً في داخل تركيا وخارجها.

ومن أهم ما يُميز رؤية "جولن" التربوية أيضاً التمييز بين الفئات المتلقية لهذا المضمون التربوي والتعليمي، فهو يوصي باستغلال قدرات الطفل الاستيعابية، بينما يُركز على عنصري القوة والفضيلة لدى الشباب.

ولكن يلي هذه المرحلة التربوية، مرحلة أخرى، وهي البدء بإصلاح الذات، إذ يؤكد "جولن" ضرورة السيطرة على عالم القلب والنفس الأمانة بالسوء وتربية الضمير الذي يعده أكبر رأسمال اجتماعي، ولعل هذا يتحقق - بجانب الوسائل التقليدية للتربية - عبر رؤية مختلفة تجاه العبادات كالصلاة والصوم والحج.

وذلك على أن تنعكس هذه العملية على سلوك الإنسان بشكل حقيقي وعلى نحوٍ متنسق فجولن إلى جانب تأكيده على إرادة الله المطلقة والتي لا جدال بشأنها، يرى أن الإنسان مسئول مسؤولية كاملة عن أفعاله، فنعم الله هو خالق الفعل، أما الطالب فنحن، وبالتالي تقع علينا المسؤولية.

وبعد انتهاء الإنسان من هذه الخطوة التي تدخل في إطار ما يُسميه "جولن" بناء الشخصية الجديدة، يكون الانتقال إلى مرحلة أخرى من الإصلاح وهي إفاضة هذا النور على الغير.

وهذا بدوره يأتي في إطار رسوخ مفهوم الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر لديه.

إذ إن الإنسان إذا ما قام بإصلاح ذاته ومجاهدة نفسه يكون حينها فقط مهياً للإصلاح في المجال الخارجي سواء السياسي أو غيره، خاصة وأن "جولن" يؤكد أن من يتسمون بالأخلاق الحميدة هم من سيحكمون العالم. فالسياسة في مفهومه هي فن الإدارة التي يجب أن تجلب رضا الله ورضا الناس.

وشروط السياسي أو الإداري هي:

المهارة، نصرة الحق، المسؤولية واحترام سيادة القانون.

أما الحكومة فتنتخب حسب أصالة أفكارها، ومهمتها الأساسية تحقيق العدالة وحفظ الاستقرار والأمن، علماً بأنه يؤكد أيضاً على حيوية دور المؤسسة الدينية في هذا الأمر.

"جولن" لا يرفض "الجمهورية"، بل يرى أن لها أصل قرآني. ويعرفها بأنها شكل الإدارة الذي يملك فيه الشعب حق الانتخاب

والشورى.

ويؤكد كذلك على أهمية قيم المسامحة وحرية الفكر والمدنية. فيرى أن الحرية المعقولة هي الحرية المدنية، في ارتباط بسلاسل الدين والأخلاق، خاصة أنه لا يرى تعارض بين الإسلام والديمقراطية وحقوق الإنسان. وهو يعرف الفرد المدني بأنه هذا الفرد المنماه بذور الخير بداخله. أما الأمة المدنية فهي التي تعرف هويتها ولا تقوم بالسلب والنهب. وبالتالي، فهو يُشدد كذلك على قيم الحق والعدل والبعد عن النظرة المكيافلية. كما يُنبه إلى أهمية محاربة الفساد، حيث إن النظم القائمة على الكذب مصيرها الزوال.

وقد كان من أكثر ما اهتم به مسألة تحقيق الوحدة في ظل الاختلاف، حيث لفت إلى ضرورة تحليل عوامل الفرقة الداخلية والخارجية وإقامة الوحدة على أساس عقلي وليس المشاعر الفوارة ضمناً للاستمرار، فضلاً عن إدراك كون الاختلاف من نعم الله. هذه الأفكار التي عملت مؤسساته على تطبيقها بتكيا، ومختلف بلدان العالم.

وكانت له رؤيته فيما يخص الدعوة أو الخدمة الإسلامية عامة، إذ انتقد أن الخدمة الدينية دون راع، وأن كل جماعة اعتبرت زعيمها مجدداً، وهو لا يغفل تأثير كل من العوامل الداخلية والخارجية على حدٍ سواء في هذا الأمر.

ويحدد صفات رجل الدعوة بأنه يجب أن يكون مؤدب غاية الأدب، ويحترم كل من يعين الحق وينصره.

وفي هذا الإطار، تجدر الإشارة إلى رؤيته لمهمة الجامع والمتمثلة بالأساس في: الذكر والفكر، كما أنه مجلس شورى لرجال الدولة، حيث إنه سيظل مدرسة سماوية حتى في أسوأ الظروف.

المراجع

أولاً – باللغة العربية:

- 1- محمد فتح الله جولن، القدر في ضوء الكتاب والسنة، ترجمة: إحسان قاسم الصالحى، القاهرة: دار النيل للطباعة والنشر، ط4، 2009.
- 2-، الموازين أو أضواء على الطريق، ترجمة: أورخان محمد علي، القاهرة: دار النيل للطباعة والنشر، ط3، 2004.
- 3-، ترانيم روح وأشجان قلب، ترجمة: أورخان محمد علي، القاهرة: دار النيل للطباعة والنشر، ط1، 2004.
- 4-، روح الجهاد وحقيقته في الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم الصالحى، القاهرة: دار النيل للطباعة والنشر، ط2، 2004.

ثانياً – باللغة الإنجليزية:

- 1- Mehmet Kalyoncu, Acivilian Response to Ethno-Religious conflict: the Gülen Movement in Southeast Turkey, U.S.A: The light, 2007.
- 2- Robert A. Hunt and Yüksel A. Aslandogan, Muslim Citizens On The Globalized world: contributions of the Gülen Movement; USA: The light, 2007.